

I-الدين

منذ وُجد الإنسان على ظهر الأرض، وُجدت معه هذه الظاهرة المسماة : دين، أو تدين فلا نكاد نجد – عند الإنسان- حقيقة أرسخ من الدين، ولا يسع المرء أن ينكر وجودها إلا إذا أنكر وجوده الذاتي ، ففي كل المجتمعات من أبعدنا عراقة في المدنية إلى أشدها توحشا ، نجد الدين والاعتقاد بصحته والانقياد لتعاليمه¹، فما هو الدين؟

قدم العلماء تعريفات كثيرة للظاهرة الدينية يحاول كل منها أن يكون جامعاً مانعاً، فهو شعور باللانهائي ، العقل الخفي الذي يتحكم في الكون، أو فوق الطبيعي بصفة عامة أو الكائنات الروحية كما عند تايلور، هذا الكائن أو هذه الكائنات الما فوق طبيعية واعية وتمتلك خصائص فوق ما لدى البشر².

أما جيمس فريزر وبعد أن يتحفظ على صياغة تعريف يرضي كل الآراء فإنه يحدد ما يعنيه هو حين يستعمل هذه الكلمة فيقول: " إنه عملية استرضاء وطلب عون من قوى أعلى من الإنسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وهذه العملية تنضوي على عنصرين: الأول نظري، والثاني تطبيقي، فهناك أولاً الاعتقاد بقوى عليا يتلوه محاولات لاسترضاء هذه القوى ولا يصح الدين بغير توفر هذين العنصرين"³.

وينتقد دوركايم كل التعريفات السابقة ، فهي تقوم على تشخيص القوى الغيبية أو الروحية، فيقول إن الديانة ليس دائماً اعتقاداً في القوى المشخصة، ذلك أن البوذية تفترض إيماناً بدون إله، فالبوذي غير معني بمن خلق العالم، إنما يسعى من أجل تخليص روحه في عالم لا يحمل إلا الشقاء والألم ، وهو في سعيه لا يستعين بأية قوى أو بأي كائن ما ورائي إنما يعتمد على قواه الذاتية وحدها.

لذلك يرى دوركايم بأن الدين هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن وسطها الدنيوي، وتحاط بشتى أنواع التحريم وهذه المعتقدات تجمع كل المؤمنين حول مؤسسة واحدة⁴.

وأظهر ما في الديانة –حسب دوركايم – تقسيمها الأشياء إلى فئتين متناقضتين: الحرام والحلال؛ فالحرام ما كان ممنوعاً والمانع له قد يكون طهارته أو نجاسته ، عفته أو جرائمه⁵. وقريباً من هذه الفكرة يرى الباحث العربي فراس السواح أنه لا بد من تحليل البنى الأولية الأساسية المشتركة بين كل ديانات الإنسان وعبر جميع العصور ، وبنية الحد الأدنى للمعتقد وهو أساس كل الديانات ويستنتج أن الدين أو المعتقد الديني " يقوم على الإحساس بانقسام الوجود إلى مستويين أو مجالين، المستوى الطبيعي، وهو عالم الظواهر المحسوسة الذي يعانية ويتحرك ضمنه الإنسان، والمستوى القدسي، وهو الغيب الذي صدرت عنه هذه الظواهر المحسوسة، بما فيها الإنسان وأشكال الحياة الأخرى، ويتصل المستوى القدسي بالكون من خلال حالة فعالية، هي قوته السارية التي تجمع بين المستويين في دارة واحدة، باطنها الألوهة وظاهرها ما لا يحصى من الظواهر الحية والجامدة"⁶.

نظريات في تفسير الدين:

من المعلوم أن التفسير المعروف للدين هو الوحي، وهو على كل حال تفسير للدين من داخله، وهو تفسير يعتمد على الغيب، ويمكن تفسير أية ظاهرة في الدنيا بالاعتماد على الغيب

¹ - ينظر : يوسف شلحت : نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني دار الفارابي بيروت 2003 ص25

² - فراس السواح: دين الإنسان : منشورات علاء الدين ، دمشق 2002 ص ص 24 . 25.

³ - المرجع نفسه : ص25

⁴ - المرجع نفسه ص27

⁵ - ينظر : يوسف شلحت المرجع السابق ص51 . 53.

⁶ - فراس السواح (المرجع السابق) ص312.

دون بذل أي جهد في التفكير والتقدم لكشف قوانينها وأسرارها، كما أن هناك ديانات تخلو من الرسل والأنبياء والوحي وحتى الآلهة كما رأينا عند البوذيين.

1- النظرية الأرواحية Animism

بدأ سبنسر هذه النظرية فقال إن الديانة نشأت في بادئ الأمر بتقديس أرواح زعماء راحلين وتحولت أرواح هؤلاء الزعماء إلى آلهة تركز الدين حولها وابتدأ بها⁷، ثم جاء تايلور فطور هذه النظرية وقال إن عقلية الإنسان في بدايات البشرية كانت سريعة التأثير قوية الإحساس، كشأن الأطفال في ما يقع تحت حواسهم، وانطلق من دور الأحلام في التفكير بانقسام الإنسان إلى جسد وروح؛ "فالنائم يعهد نفسه مستلقيا تحت خيمة أو في ظل شجرة وعلى حين فجأة يرى نفسه منتقلا في أماكن قد لا تكون وطأتها قدماه (...). وإذا به يستيقظ فيرى نفسه حيث كان، أليس من المعقول أن يذهب إلى القول بوجود نفس فيه تفارق الجسم في حالة النوم، وتنتقل حيث تشاء؟ لكن هذه النفس يتصورونها على الشكل الذي ظهرت لهم عليه في الحلم، فهي مكونة من جسم كجسمهم لكنه أدق وألطف. ثم إن رؤياهم الأموات في الحلم تدعوهم إلى الاعتقاد بأن النفس بعد الموت لا تضمحل بل تصبح روحا وتظهر أحيانا للأحياء.

ولما كان منطق المتوحش كمنطق الأطفال فلا عجب إذا نظر إلى الأشياء فجعل منها نفسا وغدا الكون لديه مملوءا بالأرواح ثم أخذ يخاف هذه الأرواح ويكرمها ليبعد أذاها عن نفسه، ومن هنا تولدت في ذهنه صورة الآلهة، وما هي في البدء سوى أرواح خلقتها مخيلته ووضعتها في مصاف القوى الطبيعية⁸.

تعرضت هذه النظرية إلى نقد شديد من قبل كثير من الباحثين، لكن أهم ناقد قوض أسسها هو الاجتماعي الفرنسي إميل دوركهايم؛ ومن أهم ردوده على هذه النظرية إن هناك أحلاما لا يفسرها اعتقاد الإنسان أنه مكون من نفس وجسد، فكيف يعلل الأحلام التي ترجع به إلى عهد الحداثة أو التي ينتقل فيها النائم ورفقاؤه إلى أماكن نائية؟ إنه يستطيع عند يقظته أن يسأل الذين كانوا معه عن صحة ما رأى فيتحقق عندئذ من كذب مخيلته⁹.

2- النظرية الطبيعية :

صاغ هذه النظرية ماكس ميللر Max Muller¹⁰ صياغتها الأخيرة مع أن بعض الباحثين قد سبقوا إليها مثل الألماني كوهن والفرنسي بريال، انطلق ميللر من أسماء الآلهة في اللغات الهندوأوروبية، ولاحظ أن كل أسماء الآلهة إنما هي في الأصل أسماء لمظاهر الطبيعة. فقد أدهش إنسان العصر القديم من مظاهر الطبيعة، وزرعت في نفسه بذور الإحساس الديني، والروع الذي أحدثته حركة الأجرام وتعاقب الفصول ودورة الحياة النباتية.. الخ هو الذي أنتج فكرة المجهول مقابل المعلوم، وفكرة اللانهائي مقابل المحدود، وهذا ما أعطى النبضات الأولى للأفكار الدينية ومفرداتها اللغوية. ف وراء الأبعاد التي تدركها الحواس، هناك أبعاد وأبعاد لا تدركها الحواس.

هذا هو الإحساس الديني في صورته الأولى، ثم إن مظاهر الطبيعة تخرج من حالتها المجردة إلى حالتها الفاعلة، باعتبارها كائنات روحية تفعل و تؤثر من الخارج. "ذلك أن الدين الحقيقي هو أفكار وممارسات تتمحور حول شخصيات مستقلة ذات هيئة وكيان،

7 - المرجع نفسه ص 313.

8 - يوسف شلحت (المرجع السابق) ص. 92. 93.

9 - المرجع نفسه ص 93.

10 - ماكس ميللر (1823-1900) مستشرق متخصص في اللغات وبخاصة اللغة السنسكريتية وأدائها، عمل أستاذا بجامعة أكسفورد،

ابتكر مصطلح اللغات الآرية، ذهب إلى أن اللغات الهندوأوروبية نشأت في منطقة أريانا في وسط آسيا فأطلق اسم: آرية على اللغات الهندوأوروبية على القبائل التي كانت هناك ثم غرت الهند، وحين انتشر المذهب الآري حمل عليه بشدة وقال بعدم وجود عنصر آري. اعتقد أن الخرافات والتراث الشعبي والفولكلور والأدب الشعبي يمكن أن يرد إلى أصول سنسكريتية من مؤلفاته: تاريخ الآداب السنسكريتية القديمة.

تنتمي إلى عالم الإعجاز الذي طرحته المواجهة البكر مع الطبيعة. أما الانتقال من الظاهرة الطبيعية إلى الإله الذي يمثلها فتأتي من التأثير الذي تمارسه اللغة على الأفكار، فقد أسمى قدماء اللغة السنسكريتية قوى الطبيعة بما يدل على فعلها، فالصاعقة هي التي تمزق ، والنهر هو الذي يفيض، ثم بمرور الزمن تم تحويل هذا الشيء الذي يمارس الفعل إلى شخصية تفعل كما يفعل الإنسان، واختفت المجازات لتستعمل استعمال الحقيقة فظهرت الآلهة¹¹.

إن هذه النظرية تقدم الدين كشبكة من التهيؤات القائمة على المجازات تفنن إلى القيمة الموضوعية، وفراس السواح يرى أنه إذا قلنا جدلاً هذه النظرية فهي تفسر فكرة الإله وليس فكرة الدين ، والدين كان أسبق بكثير من المرحلة التي ظهرت فيها الآلهة في الحياة الدينية للإنسان¹².

أما يوسف شلحت فيعقب على هذه النظرية، إن فكرة اللانهاية فكرة تستعصي على عقل الإنسان البدائي، فالبدائي يعتقد أن الأرض محدودة بحدود قبيلته، كما أن الإنسان استمد الآلهة من عالم الحيوان التي هي كانت كائنات ضعيفة وحقيقية يراها الإنسان دونه منزلة¹³.

3- النظرية الغريزية:

رأينا في هذه الفقرة أن نجمع نظرية رينان ونظرية برغسون، لأن كلا منها تقول بأن الغريزة دفعت الإنسان إلى الإحساس بالآلهة (*). الفرق أن الأول قال بأن الغريزة الظاهرة مثل الغريزة التي تدفع الطير لبناء عشه، فالإنسان يشعر بشيء ينقصه وفراغ يملأ قلبه، فيصرخ باحثاً وراء الغيوم عن هذا الكائن العظيم الذي يفنن إليه، وهذا جعله يشعر بضرورة الخضوع والعبادة لهذه القوة العظيمة المحجوبة.

أما برغسون فيقول إن هذه الغريزة مضمرة، بل إنها محجوبة بالعقل، مغلفة به كما أن الغريزة يبقى بها وميض من عقل ، الغريزة من الأجسام الحية، أما العقل فهو آلة غير عضوية عليها أن تصنع وتخترع... الخ والغريزة تمكن من معرفة داخلية لا شعورية ، أما المعرفة العقلية فهي نسبية وشعورية، لذا كانت الغريزة أشد معرفة بالحياة¹⁴. ومن هنا جاءت فكرة الحدس (الغريزة العارفة) الذي قاد الإنسان إلى الدين. غير أنها في المجتمعات المغلقة تقود إلى الدين الجامد لأن العقل يعرقل عملها أما في المجتمعات المفتوحة فالمتصوف استطاع أن يتوغل في أعماق نفسه لإيقاظ القوى الحدسية الكامنة⁽¹⁵⁾. إذا عزونا أمر الديانة إلى الغريزة كما يرد يوسف شلحت، لا نتقدم قيد أنملة في بحثنا لأن الغريزة من الأمور المجهولة عند العلماء وهي تتعلق بالأمور البيولوجية ، فكيف تم الانتقال من المادة إلى الروح ونكون كمن يفسر غامضاً بسر أشد غموضاً.

أسس الدين ومكوناته:

ويعتبر الدين من أقوى النظم الاجتماعية، فهو يقوم على علاقة الإنسان بكائنات ما وراءية أو فوق طبيعية ، يؤمن بها ويعبدها عن طريق وسطاء يمثلونها، والدين نسق سلوكي وعقائدي وقانون أخلاقي. فما هي الأسس التي يتكون منها الدين؟ للدين مكونات أساسية أو بنية أساسية فهي عناصر مترابطة ومتفاعلة فيما بينها، إذا انعدم أحد هذه العناصر لم يصح أن نسمي البنية بهذه التسمية، ومنها ما هو ثانوي أي

11 - فراس السواح بتصرف بسيط ينظر : المرجع السابق ص 314. 315

12 - المرجع نفسه ص 316

13 - يوسف شلحت المرجع السابق ص 96. 97.

* هناك نظرية فرويد وهي الأخرى غريزية تقول بنشأة الدين عن طريق الغريزة الجنسية أشرنا إليها في هامش ص 25

14 - ينظر: Henri Bergson Les deux sources de la morale et la religion, idéa Paris. Tunis 1993

ليست ذات دور حاسم في وجود الدين لكننا يمكن أن نجدها في بنى أخرى غير دينية ونبدأ بالمكونات الأساسية.

أ- المكونات الأساسية:

1- **المعتقد:** " المعتقد هو الذي يعطي الخبرة الدينية شكلها المعقول ، الذي يعمل على ضبط وتفتين أحوالها. فبعد تلك المواجهة الداخلية مع القدسي في أعماق النفس يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة المفاهيم التي من شأنها إسقاط التجربة الداخلية على العالم الخارجي ، وهنا يتم خلق شخصيات معنوية وقوى تستقطب الإحساس بالمقدس ، وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات" (16).

2- **الطقوس:** ممارسات حركية وأعمال يُعتقد أنها ترضي الآلهة، وعدم أدائها يغضبها، وهي فعاليات تأخذ أشكالاً مختلفة كحرق الأضاحي والرقص والتراويل وإشعال النار والصلوات ... الخ. والطقوس تسهم في تقوية المعتقد، كما أن المعتقد يبرر ممارسة الطقوس.

3- **الأسطورة:** يعرّفها مرسيا إلياد، بأنها حكاية "تاريخ مقدس ، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي، بعبارة أخرى تروي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجتريحتها الكائنات العليا، ولا فرق بأن تكون الحقيقة كلية كالكون مثلاً أو جزئية. كأن تكون مسلكاً سلكه الإنسان أو مؤسسة إذ هي دائماً سرّاً لحكاية خلق.

أما أشخاص الأساطير فهي كائنات عليا نعرفها بما قد صنعوه في الأزمنة القوية أزمنة البدايات ، فالأساطير تكشف عن هذه الفعالية المبدعة لهذه الكائنات العليا" (17).

أما عن وظائف الأسطورة، فهي تؤسس وتفسر التشريعات والطقوس الدينية وتبررها ، وترتبط بالنظام الديني و تتشابه مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه، وتنشأ عن المعتقد لتجسده في شكل موضوعي تثبته في صيغة تساعد على توضيحه وفهمه وحفظه للأجيال، إن فكرة الآلهة معتقد نظري ذو طبيعة فلسفية فتأتي الأسطورة تعين الآلهة تسميها وتعلن عن فعاليتها الواضحة (18) ، وهي حقيقة حية عند المجتمع الذي يعتقد بها وليس تاريخاً يحكى أو نسجاً من عالم الخيال إنها واقع معيش، إن المجتمع يؤمن كما يرى مالينوفسكي بأن الحوادث التي تتأسس عليها الأسطورة نتجت عن ماضٍ بعيد ويتواصل تأثيرها عليهم وعلى مصيرهم ، إنها تعيش في الطقوس في الأخلاق تسيطر على المعتقدين وتضبط سيرتهم وسلوكهم (19).

ب- المكونات المكملة:

إن لفظ " ثانوية " الذي استعمله السواح في وصف هذه المكونات، قد يعني أنها ليست ذات أهمية بالنسبة للمتدينين، لذلك تحفظنا منه واستعملنا (المكلمة) بدلا عنه لأنه بالنسبة لمن يدرس الظاهرة الدينية يجدها تحتل المرتبة الثانية من حيث الأولوية في التعرف عليها بالمقارنة مع المكونات الأساسية.

ذلك أن المكونات الأساسية تنظم علاقة الإنسان بالمقدس، أما المكونات المكملة فتتنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ويمكن أن نجد هذه المكونات في أنظمة لا تقبل تسمية الدين، وهذه المكونات الثانوية هي الأخلاق والشرائع

1- **الشرائع:** قواعد تضبط العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، مقررة اجتماعياً تتضمن وسائل إلزام والعقوبة في حال المخالفة في حالة القوانين والالتزام أمام السلطة السياسية،

16 - فراس السواح (المرجع السابق) ص 47، 48.

17 - مرسيا إلياد : مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد حياطة دار كنعان للدراسات والنشر. دمشق 1991. ص 10

18 - فراس السواح (المرجع السابق) ص 59.

19 - ينظر: B.Malinowski, le mythe dans la psychologie primitive un texte extrait de mœurs et coutumes :

وفي حالة **العرف** الاجتماعي يكون الالتزام أمام الوعي الجمعي يفرضه شعور الفرد أنه جزء من الجماعة، أما التشريعات الدينية فيفرضها الوازع الديني فالمؤمن ينطلق من المعتقد الديني لا من المجتمع ولا من السلطة.

2-الأخلاق:ترجع الأخلاق إلى مبادئ للسلوك متفق عليها ومقبولة من المجتمع وهي بديل عملي لأسلوب الإلزام بالقوة كما يقول السواح⁽²⁰⁾.

وعلى ما يبدو من ارتباط الأخلاق بالدين ، إلا أنهما متمايزان ، والأصل في الأخلاق استقلالها عن الدين ، فالقانون الإلهي(الشرعية) غير معروف عند كثير من المجتمعات. ومع ذلك تفرض المواضيع الاجتماعية أعرافا دينوية محضة لا علاقة لها بأية قوى قدسية.

والدين من أقوى الأنظمة الاجتماعية لذا نجده في كل الثقافات بلا استثناء غير أننا نجده بأشكال مختلفة فهو يعين معتنقيه على تفسير الظواهر ويخلق تماسكا اجتماعيا قويا بينهم ويُمكن أصحابه من التمييز بين الصحيح والخاطئ من وجهة نظرهم.

II-الفنون والآداب

نسجل في البداية ارتباط الفنون والآداب بالدين، فقد كانت الفنون ” وسيلة لاستلهام العون من العالم الروحاني“⁽²¹⁾، ويتفق الأنثروبولوجيون على أن للفن وظيفة سحرية، فالصياد يعتقد أنه يرسم الحيوان ويقبض عليه بيده يكون قد سيطر على الشيء ذاته في الصورة⁽²²⁾ إذ يصعب تخيل أن إنسان العصر الحجري كان يبذل مجهودات خارقة لتصوير الحيوان لمجرد التمتع بصورته.

نشأة الفنون عند الإنسان:

I-النظرية الاجتماعية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الفنون نشأت في أحضان الأديان، فإميل دوركايم يرى ” أن الدين نظام اجتماعي، وهو الأصل في نشأة الفنون جميعا؛ فالدين عامل هام في تشكيل حياة البدائيين، إذ أن رجال الدين والسحرة عند البدائيين كانوا يسيطرون على الحياة العامة ويتصدرون حفلات الأعياد والمراسيم الدينية والزواج... حيث كان الفن يظهر بوضوح في مشاهد الرقص الديني البدائي ونغمات الموسيقى الجنائزية وصور تماثيل آلهة العالم الآخر... وللتدليل على صحة هذا الرأي يرجع أصحاب هذه النظرية إلى قدماء المصريين فيبينون أن الطقوس الجنائزية وهي طقوس دينية كانت كلها تقوم على أعمال فنية من موسيقى ورقص ونحت... فللفنون على رأي دوركايم غاية دينية اجتماعية والدين كنظام اجتماعي هو الأصل في نشأة الفن“²³، وإذا كان من السهل أن نلاحظ أن الفن نشاط فردي، وذلك في الشعوب المعاصرة المتحضرة، وتقتصر ممارسته على فنانين متخصصين معينين موهوبين ، فالفن لدى الشعوب البدائية ، بعكس ذلك تماما، فهو شديد الالتصاق بالحياة اليومية ولا تقتصر ممارسته على فنانين متفرغين ، بل هو حصيلة تراكم مجهودات تعاونية تتجمع على مدى فترات زمنية طويلة²⁴.

20 - السواح (المرجع السابق) ص 72

21 - بشير خلف: الفنون لغة الوجدان ، دار الهدى ، عين مليلة. 2009 ص 16

22 - محمد الخطيب (المرجع السابق) ص 205

23 - محمد علي أبو الريان : فلسفة الجمال ونشأة الفنون كلية الآداب جامعة الإسكندرية دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط 8 د.ت ص 166

24 - ينظر : شاكر (المرجع السابق ص 68.

II-النظرية الاقتصادية: يرى كارل بوشر أن الفن نشأ خلال النشاط الاقتصادي فالغناء ،وهو أسبق الفنون إلى الظهور، نشأ في أول أمره مع العمل الجماعي أثناء جمع المحاصيل أو الصيد أو غير ذلك ، ففي وسط العمل ينبري أحد العمال ويرفع عقيرته بالغناء ليرفه عن العاملين ويقلل من شعورهم بالإجهاد والتعب⁽²⁵⁾.

III-نظرية الترويح: يرى سبنسر أن الفن يرجع إلى اللعب في أوقات الفراغ ، وهو نشاط ارستقراطي لا هدف له ⁽²⁶⁾.

VI-نظرية الغريزة الجنسية: يرى فرويد أن الفن يعود إلى أثر الغريزة الجنسية في اللاشعور فالفن ما هو إلا تعبير عن مكنونات العقل الباطن التي ترسبت بتأثير الغريزة الجنسية. وظيفة الفنون.

يرى كثير من المفكرين أن الفنون ضرورية للحياة منهم أرنست فيشر في كتابه ضرورة الفن ⁽²⁷⁾، فما هي الوظائف الضرورية إن وجدت والتي يؤديها الفن ولا تستقيم الحياة بدونها؟

حفظ التوازن بين الإنسان والواقع:

يرى الرسام الهولندي موندريان⁽¹⁹⁴⁴⁾ أن الفن يمكن أن يختفي وأن الواقع يمكن أن يحل محله ،فالفن ليس إلا تعويضاً عن انعدام التوازن بين الإنسان والواقع ، وقال إن الفن سيختفي عندما تصل الحياة إلى أعلى درجة من التوازن، ويعقب أرنست فيشر بأن وجود توازن دائم بين الإنسان وعالمه أمر مستبعد حتى في أرقى أشكال المجتمعات، ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الفن سيكون ضرورة في المستقبل كما كان ضرورة في الماضي. غير أن الفن ليس مجرد بديل للحياة ، إنما يعبر عن علاقة أشد عمقا بين الإنسان والعالم، بل إن الفن يشبع مجموعة واسعة ومتنوعة من حاجات الإنسان ⁽²⁸⁾ فما هي الحاجات المادية الروحية وغيرها التي يشبعها الفن ؟

البرغماتية:

يربط جون ديوي الفن بالتجربة والخبرة فيخلع عليه صبغة عملية نفعية، ويرى ديوي أن الخبرات الإنسانية بصفة عامة ذات طابع جمالي، فليس هناك فاصل بين خبراتنا اليومية والخبرة الجمالية ، لذلك لا يميز بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية. والعنصر الجمالي كما يرى ديوي ليس خاصا بالفنون الجميلة بل إنه ليكسو أي عمل يقوم به الإنسان فأني عمل يستحق أن يحمل سمة الجمال ومن ثم فهو ليس دخيلا على التجربة الإنسانية، وليس أثرا من آثار الترف أو الكسل أو اللهو أو الحسد الصوفي أو التسامي الأخلاقي، بل نوع من الترقى للسمات العادية التي تميز الخبرات المكتملة السوية ولهذا فإن الفن يرتبط ارتباطا وثيقا بالحضارة الإنسانية²⁹.

الفن للفن: يرى أصحاب هذه النظرية أن الفن ليست له وظيفة نفعية، يرى هنري برغسون ، أن الفن وليد الإدراك المباشر للطبيعة والوقوف موقف العبادة أمام مشهد الحياة دون مشاركة إيجابية حقة من الفنان، بل يكتفي بالمشاركة الوجدانية فحسب ، فيأتي العمل الفني بدون غاية اللهم إلا المتعة والنشوة، وعلى ذلك فالفن يصبح نوعا من الاستبطان أو التجربة الصوفية التي تحدث نوعا من الانفصال عن الواقع.

وقريبا من هذه الرأي ذهب شوبنهاور ، إذ يرى أن الفن ضرب من الفرار من المظهر إلى الحقيقة المثالية وهو الطريق إلى الخلاص من قيود الواقع المعيش حيث ننعم من خلال

25 - محمد علي أبو الريان : المرجع السابق ص 165.

26 - المرجع نفسه ص 165.

27 - أرنست فيشر ، ضرورة الفن ، ترجمة أسعد حليم هلا للنشر والتوزيع القاهرة 2002 ، ص 8

28 - ينظر : أرنست فيشر المرجع السابق ص 7. 8.

29 - محمد علي أبو الريان : (المرجع السابق) ص 191

التجربة الفنية بالسلام النفسي العميق نتيجة لرقى الذات الفردية إلى مستوى الذات الخالصة المتحررة من قيود الزمان والمكان وشتى العلاقات الأخرى. ومع ذلك لا نستطيع أن ندعي أن الفن في هذه الحالة بلا وظيفة ، فالتحرر، والتجربة الصوفية والمتعة والسلام النفسي كلها وظائف يحققها الفن³⁰. وعلى الجملة فالفن ظاهرة أنثروبولوجية وجدت مع الإنسان حيث وجد وتستمر معه أينما حل ، يتواصل بواسطتها الإنسان مع جيله ومع الأجيال اللاحقة، وهو العمل الإنساني الوحيد القابل للخلود. كما أنه العمل الإنساني الذي أثبت أن الشعوب المسممة بدائية ليست أدنى من الإنسان المتحضر لأنها تفوقت عليه في كثير من الفنون، والقضية - كما يلاحظ كثير من الباحثين ، منهم آشلي مونتاغيو - قضية تحديات ، فلم تواجههم تحديات في المجالات التكنولوجية ، لذا ظلت الاستجابات أقل تطوراً، أما في الجانب الفني فإن التحديات موجودة في الخيال والأسلوب الفني والمهارات لذلك نجدهم قد تفوقوا على الإنسان المتحضر تكنولوجياً، في الفنون³¹.

III-م

30 - محمد علي أبو الريان : المرجع السابق ص 189.

31 - آشلي مونتاغيو : البدائية ، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة الكويت 1982 . ص 193 وما يليها